دروس وفوائد من آية الكرسي

للشيخ عبد الرزاق البدر

25 مجلسا

المجلس الثاني :

بســـــــم الله الرحمن الرحيـــــــم

أحمدُ الله عزّ وجلّ أن منَّ عليّ بتفريغ هذه المجالس العلمية النافعة والتي ألقاها الشيخ عبد الرزاق البدر ـــ حفظه الله ـــ والتي عددها 25 مجلسا حول فوائد آية الكرسي .

كما أودّ أن أنبّه إخواني أنّ الكلمة التي تحتها خط يجب مراجعتها و أنّ الأحاديث النبوية فهي مكتوبة كما هي مسموعة من الشيخ و أيضاً لا أسمح أن يُعتمد على هذا التفريغ دون مرافقة المادة الصوتية معه أو أن يأذن الشيخ .

هذا وأرجوا من الله سبحانه وتعالى أنْ يَكتُب لي الأجرَ قَدرَ ما يستفِيدُ وينتفع به المسلمون مِن هذا العمل ، ومَن سَاهمَ أيضًا في نشرِه.

ما جاء في المجلس الثاني :

وقفة مع كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ

الشروط السبعة لكلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ

فائدة في إثبات أنّ المشركين يعرفون معنى ـــ لا إله إلا الله ـــ

التفريـــــــــــغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا مَن يهدِه الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي وأشهدُ أن لا إله الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابهِ أجمعين أمّا بعد:

معاشِر الإخوة الكِرام : مَرَّ معنا في لِقاء الأمس مُقدّمةٌ حولَ فضلِ آية الكرسي التي هي أعظمُ آيَ القرآنِ شأناً وأعلاها مكانةً وأرفعهاَ قدراً ، ومرَّ معنا حديثُ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مع الصحابي الجليل أبيّ بن كعبٍ ـــ رضي الله عنه ـــ عِندما قالَ له رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : ﴿ يا أبيّ أيُّ آيةٍ مَعَكَ مِن كِتابِ الله أعظم ﴾ قال : قُلتُ الله ورسوله أعلم ، قال : ﴿ يا أبيّ أيُّ آيةٍ مَعَكَ مِن كِتابِ الله أعظم ﴾ قال : آيةُ الكرسي ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ قالَ : فضَربَ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بيدِهِ على صدري وقالَ : ﴿ والله لِيَهنِكَ العِلمُ يا أبا المُنذر ﴾ أي : هنيئاً لك هذا العِلم المُبارك الذي ساقهُ الله تبارك وتعالى إليك ويَسَّرك لِبلوغِه ونيلِه ، أيضاً مرّ معنا ترغيبُ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بِقراءةِ هذه الآية المُباركة في اليوم والليلة مرّاتٍ وكرّات بحيث تكونُ وِرداً للمسلم يعتني بهِ في كلِّ أيامِهِ ولياليه ، ومِن خِلالِ مجموع الأحاديث الوارِدة في السنة فيما يتعلق بقراءةِ هذه الآية في اليوم والليلة مرَّ معنا أنهُ يُستحبُّ ويُندبُ للمسلم أن يقرأها في يومِهِ وليلتِهِ ثمان مرّات ، خمسَ مرّات أدبار الصلوات المكتوبة ومرّةً في ذِكر الصباح ومرّةً في ذكرِ المساء ومرّةً عندما يأوي إلى فراشِه ، ومرَّ معنا في الحديث أنَّ مَن فعل ذلِك لم يَزل عليهِ مِن الله حافِظ ولا يقربهُ شيطانٌ حتى يُصبِح .

ثم إنَّ هذهِ القراءة المُتكرّرة في أيامِ المسلم ولياليه لهذهِ الآية المُباركة يُفيدُنا فائدةً عظيمة ومُهمّة في هذا الباب ألا وهي حاجةَ المُسلم الماسّة وضرورتهُ المُلحّة للعِنايةِ بأمرِ التوحيد وتحقيقِهِ في قلبِه وتجديدِه في نفسِه كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ جَدِّدوا الإيمانَ في قلوبِكُم ﴾ فهذهِ المُذاكرة والاستِذكار ودوام القِراءة والمُراجعة لهذهِ الآية الكريمة كلُّ ذلِك يُعدُّ تحقيقاً للتوحيد الذي اشتَملت عليهِ هذه الآية الكريمة ، وإذا تيسَّر للمسلِم هذهِ القراءة المُستمرّة والمُداومة على قراءتها في أيامهِ ولياليه مع التدبُّرِ لِمعناها والتعقُّلِ لمدلولِها أفادهُ ذلِك تمكُّناً للتوحيد في قلبِه وتوسيعاً لمساحتِهِ في نفسِه وقوةً في أواصره في فؤادِه ولا يَزالُ يتنامَ فيهِ هذا الأمر قُوةً وزيادةً ورِفعةً مادامَ على هذا الطريق المُبارك يُكرِّرُ هذهِ الآية كما أُمِر ويأتي بِها كما وَرَد مُستَذكِراً لِمعانيها مُتعقِّلا لدلالاتِها مُتدبِّراً للتوحيد الذي قامت على تقريره وبيانِه وإيضاحِه وتجليّتِه بالبراهِين الواضحات والحُجَجِ البيّنات ، وإذا كانَ الله سُبحانهُ وتعالى قال في عُموم القرآن ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وقال ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ وقال ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ وقال ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ، إذا كانَ الله جلّ وعلا قال ذلِك في عُمومِ آي القرآن وسوره فكيف بِهذِه الآية العظيمة المُباركة التي هيَ أعظمُ آيَ القرآن شأناً وأرفعُها مكاناً ، ولِهذا ينبغي أنْ نعلَم أيها الإخوة الكِرام أنه لا ينبغي للمُسلم أن يكونَ حظُّهُ مِن هذهِ الآيةِ المُباركة في لياليهِ وأيامِه مُجرّدَ القِراءة وتِلاوة الألفاظ دونَ تدبّر المعاني وعَقلِ المدلولات ودون تحقيق ما تقتضيهِ هذهِ الآية المُباركة مِن التوحيد والإخلاص والبراءةِ مِن الشِرك والإقبال على الله تبارك وتعالى خضوعاً وتذلّلا وانكِساراً ، فليسَت آيةُ الكرسي مفيدةً قارئها إذا كانَ غيرَ مُحقِّقٍ لِما دلّت عليه مِن الإخلاصِ لله تبارك وتعالى والقيامِ بتوحيدِه ، لأنَّ تِلاوة القُرآن وتِلاوة آية الكُرسي ليسَت بقراءة الألفاظ فقط والله جلّ وعلا قال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ قال أهل العِلم : إنَّ تِلاوةَ القرآن حقَّ تِلاوته لا تكونُ إلا بأمورٍ ثلاثة:

- الأمر الأول : قراءة القرآن وحفظه قراءةً صحيحةً سليمةً مُستقيمة .

- الأمر الثاني : فهم معانيه ومدلولاتِه وعقلِ مُراد الله تبارك وتعالى بِه تدبُّراً وتعقُّلا وتفهُّماً وتبصُّراً وفهماً لِكلام الله سُبحانه وتعالى .

- الأمر الثالث : العمَل بالقرآن ، والعملُ نفسهُ والإتباع يُسمى تِلاوة كما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ أي : تبِعها ، تلى فلانٌ فُلاناً أي : تبعهُ ، فلا يكونُ تالياً للقرآن إلا إذا اتّبعَ القرآن ، ولا يكون العبد تالياً لآيةِ الكرسي بِمُجرَّدِ قراءتِهِ لألفاظها بل لا يكونُ تالياً لها حقَّ التِلاوة إلا بِفهمِ ما دَلَّت عليه وتحقيقِ ذلِك وهو توحيد الله جلّ وعلا وإخلاصُ الدّين له والبراءةُ مِن الشرك قليلِهِ وكثيرِه ، لا يكونُ تالياً لها إلا بذلك إلا بالقِراءة والفهم والعمل بِما تقتضيه وتدلّ عليه مِن التوحيد والإخلاص لله جلّ وعلا ، ولِهذا كان مِن المُتأكّد على كلِّ مسلم أنْ يكونَ عِندهُ مزيدُ عِنايةٍ بِهذِه الآية المُباركة في فهمِها وتدبّرِ دلالاتِها ومُراجعة ومُطالعةِ كُتبِ التفسير التي كتبها أهل العِم مِن أئمةِ أهل السنة يُراجِع ما كتَبهُ أهل العِلم لتكونَ قِراءتهُ عن فهمٍ وتدبُّر كما أمرَ الله جلّ وعلا وكما دعَ عِبادهُ لذلك في آياتٍ مرَّ معنا جُملةٌ مِنها .

ولِهذا أيها الإخوة نسأل الله جلّ وعلا أن يُيَسِّرَ لنا ولكُم الخير وأن يُعيننا وإيّاكُم على العِنايةِ بِكتابِ الله عزّ وجلّ وبِهذهِ الآية المُباركة الكريمة التي هيَ أعظمُ آي القرآن ، وفيما يتعلّق بخصوصِ هذهِ الآية فالوصيَّة معاشَر الإخوة أنْ تكونَ عِنايتُنا بِها مُضاعفة ، أولاً مِن جِهةِ قراءتِها والمُحافظة على جعلِها وِرداً يومياً كما جاءَ في السنة ثمانية مرّات في اليوم

والليلة يعتني بذلك المُسلم عِنايةً دقيقة وفائقَة ولا يُفوِّت على نفسه هذا الخيرَ العظيم والفضلَ العميم ، ومرّ معنا أنّ شيخ الإسلام بن تيمية ــ رحمه الله ــ منذُ بلغهُ قولُ النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ من قرأ آيةَ الكرسي دُبرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبة لم يَكُن بينهُ وبينَ الجنةِ إلا أنْ يموت ﴾ لّما بلغهُ هذا الحديث يقول : ((ما تركتُ قِراءتها دُبرَ كلِّ صلاة منذُ عَرفتُ هذا الحديث)) ، وهذا الذي ينبغي أن يكونَ عليهِ المسلم ، فيُحافظ على قِراءتِها مرّاتٍ وكرّات كما جاء في السنة وتكونُ وِرداً يومياً للمسلم يعتني به والأمرُ الثاني يُجاهِد نفسَه على فهمِ هذهِ الآية وعقلِ معانيها وتدبّرِ دلالاتِها ، والأمر الثالث يجاهِد نفسه على تحقيق التوحيد والإخلاص الذي قامَت هذهِ الآية على بيانِهِ وتقريرِهِ وإيضاحِه .

فهذِه أيها الإخوة مُقدِّمات بينَ يدي الدخول في معاني هذهِ الآية المُباركة ودلالاتها الكريمة وما أقيمَ في هذهِ الآية من البراهين الساطِعات والحُجج الواضحات على وجُوب التوحيد وإخلاص الدّين لله جلّ وعلا .

هذهِ الآية الكريمة صُدِّرت بقولِه تبارك وتعالى : ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وهذهِ كلِمة التوحيد التي هيَ أجلُّ الكلِمات وأفضلها على الإطلاق فليسَ في الكلِمات كلِّها كلمةٌ أفضل مِن هذهِ الكلمة ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ هذهِ كلمة التوحيد ــ لا إله إلا الله ــ وهيَ كلِمة عظيمة جلِيلة كبيرَة الشأن عظيمة القدر هيَ أفضلُ كلمةٍ قالها نبي كما قالَ عليه الصلاة والسلام : ﴿ وخيرُ ما قُلتهُ أنا والنبيُّون مِن قبلي لا إله إلا الله ﴾ وهيَ أفضل الذِكر كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ أفضلُ الذِكرِ لا إله إلا الله وأفضلُ الدعاءِ الحمدُ لله ﴾ وفضائِلُ هذهِ الكلِمة وموقِعُها مِن الدّين وقدرُها وشأنُها فوقَ ما يَصِفه الواصِفون ، وقد جاءَ في نُصوص الشرع في كِتاب الله وسنة نبيهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بيانِ قدرِ هذهِ الكلمة وفخامةِ شأنِها ورِفعةِ قدرِها جاء آيات كثيرة وأحاديث عديدة في سنة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد نُعِتَت في القرآن بِنُعُوتٍ مُباركة ووُصِفت

بِصفاتٍ كريمة تدلُّ على عِظمِ شأنِها ورِفعةِ قدرِها ، فجاءَ في القُرآن وصفُها بأنها العُروة الوُثقى كما جاء ذلِك في الآية التي تلي آيةَ الكُرسي ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي : استمسَك بلا إله إلا الله التي هيَ خيرُ مُستَمسَك وأعظمُ عُروةٍ يتعلّقُ بها العبد ويستَمسِكُ بها لتَتحقَّقَ نجاتهُ ولِيُحصِّلَ رِبحَ الدُّنيا والآخِرة .

وجاء في القرآن وصفُها بأنها الكلِمةُ الطيبة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴾ .

وَوَصفها تبارك وتعالى بأنها القول الثابت ،كما قال جلّ وعلا : ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

ووصفها جلّ وعلا بأنها دعوة الحق كما في قولِه سبحانه في سورةُ الرعد : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ .

ووصفها جلّ وعلا بأنها الكلمة التي جَعلها إبراهيمُ الخليلُ إمام الحُنفاء باقيةً في عَقِبِه ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي : لا إله إلا الله .

ووصفها بأنها كلِمة التقوى التي ألزَمَها الله نبيَّهُ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأصحابه وكانوا أحقَّ بِها وأهلها كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ .

ووصفها تبارك وتعالى بأنها العهد كما في قولِه جلّ وعلا : ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ قيل في تفسيرِها أي : العهدُ هو لا إله إلا الله .

وجاءَ في القرآن وصفُ هذه الكلمة العظيمة بِصفات كثيرة جداً تَدلُّ على عِظمِ مقامِ هذهِ الكلمة مِن الدّين وأنّها أساسُ الدّين وأنها الكلمة التي أُنزلَت لأجلِها الكُتب وأرسِلت لأجلِها الرُسل وهذا المعنى جاء في آياتٍ كثيرة في القرآن كقولِه سبحانه وتعالى في أولِ سورة النحل : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾ فوصَفها بِأنها أنزِلت الكُتب لأجلِ بيانِها وتقريرِها وإيضاحِها ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وقال جلّ وعلا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ وكلُّ رسولٍ يبعثهُ الله تبارك وتعالى فإنَّ أول كلمةٍ يَسمعُها أقوامهُ مِنهُ هي هذه الكلمة : أعبدوا الله مالَكُم مِن إلهٍ غيرُهُ ، فلِأجلِها أرسِلت الرُسل وأنزِلت الكُتب ولأجلِها خُلِقت الخليقة ووُجِد الثقلان ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ولأجلِها انقسَم الناسُ إلى فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير ، والجنة لأهلِ لا إله إلا الله والسعير المُجانبين لهذِهِ الكلمة المُعرضينَ عنها ، ولا تَزول قَدم عبدٍ يوم القِيامة حتى يُسأل عن هذه الكلمة ، ماذا كُنتم تعبدون ؟ وسُؤالٌ آخر : ماذا أجبتُم المُرسلين ؟ سُؤالان مَعروضان على الخلائق يوم القيامة ، جواب السُؤال الأول : لا إله الله وتحقيقُها قولا وعِلماً واعتِقاداً وعملا ، وجواب السؤال الثاني : أشهدُ أنّ محمد رسول الله وتحقيقها عِلما وعملا وطاعةً وإتباعاً للرسول الكريم ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ .

وجاء في سنة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وصفُ هذه الكلمة المُباركة بِأنها أرفعُ شُعب الإيمان كما في حديثِ الشُعب المشهور المُخرّج في الصحيحين عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ﴿ الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعبة أعلاها قولُ لا إلهَ إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عنِ الطريق والحياءُ شُعبةٌ مِن شُعبِ الإيمان ﴾ وجاء في السنة وصفُ هذهِ الكلمة بأنها لو وُضِعت في كِفَّة ميزان وفي كِفَّة الميزان الأخرى السموات والأرض ثقُلت بِهنَّ هذه

الكلمة العظيمة كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ ففي المُسند مِن حديثِ عبد الله بن عمر بن العاص بِسندٍ ثابت عنِ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنّ نوحاً ـــ عليه السلام ـــ قال لابنه : ﴿ يا بُني أمُركَ بلا إله إلا الله فإنّها إنْ وُضِعت في كِفَّة والسموات السبع والأرضون السبع في كِفَّة لمالَت بِهِنَّ لا إله إلا الله ، قال ولو كانت السموات والأرض حلقةً مُفرغة لفَصَمَتهُنَّ ـــ وفي رواية ـــ لقَصَمَتهُنَّ لا إله إلا الله ﴾ ، كلمة عظيمة جداً ومقامها مِن الدّين عظيم ورفيع ، وجاءَ عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كما في المسند وغيره من حديثِ عبد الله بن عمر بن العاص قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ يُصاحُ بِرجلٍ مِن أمتي على رؤوسِ الخلائِقِ يوم القِيامة فيُنشَرُ لهُ تِسعةٌ وتِسعون سِجلا كلُّ سِجلٍ مِنها مَدّ البصر ، فيُقالُ لهُ : أتنكُرُ مِن ذلِك شيء فيقول : لا يا رب ، فيقالُ لهُ : أعِندَك عذرٌ أو عندكَ حسنَة ، فيهاب الرجل ويقول : لا يا رب ، فيقول الله سُبحانه وتعالى : إنك لا تُظلَم ، فيُخرج لهُ بِطاقة فيها لا إله إلا الله ، فيقول الرجل : يا رب وما هذهِ البطاقة مع هذهِ السجلات ، قال : فتوضَع البِطاقة في كِفَّة والسجِلات في كِفَّة ، قال : فطاشَت السجِلات وثَقُلَت البِطاقة ولا يثقُل مع اسم الله شيء ﴾ هذا يدلُّنا على عِظم شأن هذهِ الكلمة وعِظم أثرِها على أنّ أثر هذهِ الكلِمة بحسَبِ صِدق العَبد في قولِها وإلا كم مِن قائِلٍ لها ولا يكونُ لها عليه هذا الأثر ، وقد جاء في الحديث الصحيح أنَّ مِن القائلين لِلا إله إلا الله مَن يدخلون النار ويُعذّبونَ فيها ويبقون فيها وقتاً يُعذبون كما في الحديث الصحيح عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنّ الله عزّ يومَ القِيامة يقول : ﴿ أخرِجوا مِن النار مَن قال لا إله إلا الله وفي قلبِهِ أدنى مثقال ذرَّةٍ من إيمان ﴾ ، وهذا فيه فائدة أنّ قوة أثر هذه الكلمة بِحسبِ قوة صِدق العبد فيها وقوة الإيمان الذي يقوم في قلبه ، فليسَ مَن يقول هذه الكلمة وهو لا يَدري ما هي ولا يدري ما تدلُّ عله وبينَ شخصٍ يعقِلُ معناها ويعرفُ مَدلولها ويُحقِّق ما دلّت عليه مِن التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى ، فليست العِبرة بالقول المُجرّد بل لا بدّ معَ قولِ اللسان مِن قول القلب وهذا هُو الذي

يُفهم مِن مُطلق الأمر بالقول في قوله تعالى : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ قل آمنتُ بالله ﴾ وقولهِ عليه الصلاة والسلام : ﴿ قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا ﴾ ونَظائرُ هذه الأحاديث فإن القولَ إذا أطلِق يتناول قول القلب وقول اللسان ، قول القلب اعتقاداً و إيمانا وقول اللسان نُطقاً وتلفُظاً ، فلا يكفي في هذِهِ الكلمة مُجرّدُ قول العبد لها بِلسانه بل لابُدَّ أنْ يقولها بِقلبهِ عقيدةً صادِقةً وإيماناً صحيحاً راسخاً ويقولها بِلسانهِ نُطقاً وتلفظاً ، ولِهذا كانت هذه الكلِمة العظيمة أعلى شُعب الإيمان وأعظم مباني الإسلام كما جاء في حديث ابن عُمر في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ بنيَ الإسلامُ على خَمس : شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله و إيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصومِ رمضان وحج بيت الله الحرَام ﴾ فعَدَّ عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث كلمة التوحيد ـــ لا إله إلا الله ـــ أعظَم مباني الإسلام ، وفي الحديث الأول عدَّها أعلى شُعب الإيمان ، ولا إله إلا الله هذهِ الكلمة العظيمة لابدَّ أن يكونَ معها صِدق وإيمان في القلب وهذا الصِدق والإيمان الذي في القلب لا يكون إلا عن فهمِ المعنى وعَقل المَدلول وهذا هُو معنى الشهادة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ قالَ المُفسرون أي : لا إله إلا الله فلا إله إلا الله هيَ كلِمة الحق وقد مرّ معنا قول الله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ أي : إلا مَن شَهِد بلا إله إلا الله ، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : يعلمون معنى ما شهِدوا به ولِهذا قال العُلماء : لابُدّ في الشهادة مِن العلمِ بالمشهُودِ به ، ولابُدّ أيضاً في الشهادة مِن الصِدق فيما شهِدَ به وإلا تكون شهادتُهُ كاذِبة كما قال الله سبحانه وتعالى عن المنافقين : ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ إذا لم تَكُن عن صِدق فإنها تكونُ شهادةً كاذِبة فلابُدّ فيها مِن العِلم بالمعنى والصِدق بأنْ يقولها صادِقاً مِن قلبه ولابُدّ كذلِك مِن العَمل بِما تقتَضيه هذه الكلمة

مِن الإخلاص والذلّ والانكِسار وتمام العُبودية لله سبحانه وتعالى والبراءةِ مِن الشرك ، لابُدّ مِن العلم والصِدق والعمل .

بالعِلم يَخرج العبد مِن طريقَة النصارى الذين يعمَلون ولا يعلمون عِندهُم عمل بلا عِلم ، فإذا وُجد عِند العبد عِلمٌ يخرجُ بِهذا العِلم مِن طريق النصارى ، النصارى عِندهُم عمل لكن ليسَ عِندهُم عِلم ولهذا وصفهُم الله جلّ وعلا في القرآن بأنهُم ضالون يعملون في ضلال ، لا يعملون في عِلم وإنّما يعملون في ضلال وفي ضياع ، أعمال كثيرة وجُهد ومُواصلة عمل ولكنهُ كلّهُ في ضلال لأنهُ ليس مبنياً على عِلم وعلى دِراية وبصيرة بدين الله سبحانه وتعالى ، فبالعلم يخرج العبد مِن طريقة النصارى .

وبالعمل يخرج مِن طريقة اليهود قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي : لم يعملوا بِها ، لديهِم عِلم ولكنّهُم لا يعملون ، ولِهذا قال بعض السلف ــ رحمهم الله ــ ((مَن ضلَّ مِن عُبّادِنا ففيهِ شَبهٌ مِن النصارى ومَن ضلَّ مِن عُلمائنا ففيهِ شبهٌ مِن اليهود)) والله سبحانه وتعالى : ﴿ اهدِنَـــــــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ .

وبالصِدق يخرج العبد مِن طريقةِ المُنافقين الذين يُظهِرون ما لا يُبطِنون وقد مرَّ معنا قول الله سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

إذن لا بُدّ من هذهِ الأمور : العِلم والعمل والصِدق ، بالعِلم يخرج العبد مِن طريقة النصارى وبالعمل يخرج مِن طريقةِ اليهود وبالصدق يخرج مِن طريقةِ المُنافقين .

وهذا الذي مضى تقريرُهُ يَدلُّنا دلالةً أنَّ لا إله إلا الله لا يكفي فيها مُجرّد القول بل لابُدّ مع القول باللسان مِن مُواطَئة القلب تصديقاً وإقراراً وإذعاناً ولابُدّ معَ ذلك مِن العمل بما تقتضيهِ هذهِ الكلمة العظيمة المُباركة مِن قياماً بالعبودية والطاعَة والذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، وعليهِ فإنَّ لا إله إلا الله ليسَت كلمة لا معنى لها أو لفظاً لا مَضمونَ له بل هي كلمةٌ دالةٌ على أشرفِ المعاني وأعلى المقاصِد وأجلّ الغايات ولا يكون العَبدُ مِن أهلِها بِمجرّد قولِه لها بلسانِه دونَ فهمٍ لِما تَدلّ عليه ودون عملٍ بِما تقتضيه ، ومَن قال هذهِ الكلمة وعمِل بِما تقتضيه ظاهِراً دونَ اعتِقادٍ لِما تقتضيه وتدلّ عليه في قلبِه وسرِّه وباطِنه فهو المُنافق والمُنافقون يوم القِيامة في الدرك الأسفل مِن النار وهم أغلظُ الكفارِ كُفراً وأفظعُهُم عُقوبةً عِند الله سبحانه وتعالى ، ومَن قالها بلسانِه ولكنّه نَقضها بِفِعالِه فإنّها لا تُفيده ولو قالها عَشرات المرّات أو مئات المرّات ، من قال لا إله إلا الله وهو يَصرف العِبادة لغيرِ الله يعبد غير الله يصرِف حقَّ الله لغيره هذا لا ينتفع بمجرد قولِهِ لهذه الكلمة وتِردادِه لها وتِكراره لها بلسانه ما تُفيده لأنه لم يُحقق مَقصودها و لم يُحقّق ما تقتضيه وتدلُّ عليه مِن الإخلاصِ لله سبحانه وتعالى ، وكذلك مَن قالها وفعلَ أمراً يرتدُّ به عن الدّين أو يَنتقض بهِ إسلامه فإنّ هذه الكلمة لا تُفيدهُ .

وكلّ هذا الذي سبق تقريره يدلّنا دلالة واضحة على أنَّ لا إله إلا الله لابُدّ فيها مِن العِلم بِمعناها والعمل بِمُقتضاها وأن يكون قولُ الإنسان لها قولا صادِقاً مِن قلبه يرجوا بِها ثواب الله سبحانه وتعالى وعظيمَ موعُودِه والنجاةَ مِن سخطِه وعذابِه وعِقابِه الذي أعدّهُ سبحانه وتعالى للمُخالفين لهذه الكلمة المُعرضين عنها .

ثم إنَّ أهل العِلم بتَتَبُّعِهم لدلائِل الكِتاب والسنة فيما يتعلَّق بهذه الكلمة العظيمة ـــ كلمة التوحيد ـــ قالوا : إنَّ هذه الكلمة لا تكونُ مقبولة مِن قائلها إلا إذا أتى بِشروطِها وقيودِها وضوابِطها الوارِدة في كتاب الله وسنة نبيهِ ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ ولا إله إلا الله شأنُها شَأنُ أمورِ الدّين كُلِّها وهيَ أعظمُ أمور الدّين شأناً وكُلُّنا يعلم أنّ الصلاة

لا تُقبلُ مِمّن أتى بِها إلا بِشروطِها والحج لا يُقبل مِمّن أتى بهِ إلا بِشروطِه والزكاة لا تُقبل مِمّن أتى بها إلا بِشروطِها وهكذا كلّ الطاعات وجميع العِبادات لا تكونُ مقبولةً مِمّن أتى بها إلا إذا جاء بشروطها وضوابطها التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، أرئيتم لو أنّ شخصاً صلّى بِغير وضوء أتُقبلُ صلاتُه ؟ أو صلّى إلى غيرِ القِبلة ؟ أو نحوَ ذلِك مِن التخلّي عن الشُروط والقيود التي لا تكونُ الصلاة مقبولة إلا بِها فمَن كانَ عملهُ كذلك لا يُقبل إلا إذا جاء بِشوطه وضوابِطه وهكذا الشأن في لا إله إلا الله ــ كلمة التوحيد ــ لا تكون مقبولةً مِمّن قالها إلا إذا جاء بِضوابِطِها المعلومة مِن كتابِ الله جلّ وعلا وسنةِ نبيهِ ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ، ولِهذا جاء عن الحسن البصري وهو من عُلماء التابعين ــ رحمه الله ــ أنهُ سُئل ، قيل له : أليسَ مَن قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ ، قال: ((بلى ، مَن أدّى حقَّها وفرْضها دخل الجنة)) ، وسُئل وهب بن منبه ــ رحمه الله ــ قيل له أليسَت لا إله إلا الله ؟ قال : ((بلى ، ولكِن ما مِن مِفتاحٍ إلا ولهُ أسنان ، فإن جِئتَ بِمفتاح لهُ أسنان فُتِحَ لك وإلا لم يُفتح)) يُشيرُ بذلِك إلى شُروط لا إله إلا الله وضوابِطها المعلومةِ مِن كِتابِ الله عزّ وجلّ وسنةِ نبيه الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ، وكُلكُم يعلم أنَّ العُلماء ــ رحمهم الله ــ في كُتب الأحكام تَتبَّعوا السُنن والآيات ، آيات القرآن والسنن الوارِدة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستَخرجوا مِنهما بالتتبُّعِ والاستِقراء الشروط فيما يتعلَّق بالصلاة والزكاة والحج وغيرِ ذلك مِن أمور الدّين ، وفي كلِّ بابٍ مِن أبواب الفِقه أوكِتابٍ مِن كُتب الفِقه تَجد في المُقدِّمة تُذكَر الشروط التي يَتوقَّف عليها قَبُول هذا العمل وهيَ شروطٌ عُلِمت بالتَتبُّعِ والاستقراء لكتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وفيما يتعلّقُ بلا إله إلا الله ــ كلمة التوحيد ــ بالتَتبُّع والاستِقراء لنصوص الكِتاب والسنة والذي قامَ بهِ أهل العِلم مُتَتَبِّعين للأدلّة مِن كِتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ تبيَّن مِن خِلال الأدلّة والنظر فيها أنّ لا إله إلا الله لا تكونُ مقبولةً مِن قائلها إلا بشروطٍ سبعة

وكلِّ شرطٍ مِن هذه الشروط عليه عشرات الأدلّة في كتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وهي شروط كما قدَّمت أخذَها العُلماء بِتتَبُّعهم واستِقرائِهم لِدلائِل كتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ولهذا كان مِن المُهم والنافع والمُفيد لكلّ مسلم أن يكون على عِلمٍ ودِراية بِهذهِ الشروط العظيمة ومِن ثَمَّ يُجاهِدُ نفسه على تحقيقِها لأنّ مقصودَ العِلم العَمل وإلا فإنّ الأمرَ كما قال علي بن أبي طاب ــ رضي الله عنه ــ : ((يهتِفُ بالعِلم العَمل فإن أجابَهُ وإلا ارتَحَل)) يرتَحِل ويكونُ حجّةً على الإنسان يومَ يلقى الله عزّ وجلّ وأدخُلُ دخولا سريعاً في بيانِ هذه الشروط السبعة بشيء مِن الاختصار :

- أمّا الشرط الأول لقَبولِ لا إله إلا الله فهو العِلم بِمعناها نفياً وإثباتاً المُنافي للجهل وسيأتي لاحِقاً حديثٌ مُفصّل ــ إن شاء الله ــ عن معنى هذه الكلمة ومَدلولها على ضوءِ الدلائل في كِتاب الله وسنة نبيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ، العلم بِمعناها نفياً وإثباتاً المُنافي للجهل أي : لابُدّ أن يكونَ قائِلها على عِلمٍ بِمعناها ، ومرّ معنا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : يعلمون معنى ما شهِدوا به وقال تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وجاء في صحيح مُسلم مِن حديثِ عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهُ قال : ﴿ مَن ماتَ وهوَ يعلمُ أنهُ لا إله إلا الله دخَل الجنة ﴾ اشترطَ عليه الصلاة والسلام لِدخولِ الجنة العِلم قال : ﴿ مَن ماتَ وهوَ يعلمُ أنهُ لا إله إلا الله ﴾ وبانتِفاء الشرط ينتفي المشروط والعِلم شرط في الحديث ، قال : ﴿ مَن ماتَ وهوَ يعلمُ أنهُ لا إله إلا الله دخَل الجنة ﴾ فمِن شروط لا إله إلا الله أن يكونَ قول الإنسانِ لها عن عِلمٍ بِمعناها ، ولَّما وُجِد في الناس مَن يقول هذهِ الكلمة بلا عِلم انتَشرت في الناس الشرِكيّات والقُبوريات والاتِّجاه لغير الله بالخضوع والذلّ والعِبادة وصرف الطاعة وأنواع

مِن الشرك الفظيعة وُجِدت كلُّ ذلِك بسبب الجهل بِمعنى هذهِ الكلمة العظيمة المُباركة وما تَدلُّ عليه مِن الإخلاص والتوحيد وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعِبادة والبراءةِ مِن الشرك

- الشرط الثاني : اليقين المُنافي للشكِّ والريب ، فلابُدَّ أن يكون قولُ العبد لها عن يقين مِن قلبِه مُستيقِناً بِها قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ أي : أيقنوا و لم يشكُّوا ، ونفي الريب يقتضي ثبُوت اليقين فلابُدّ في قول لا إله إلا الله مِن اليقين ، ولِهذا أيضاً ثبتَ في صحيح مُسلم مِن حديثِ أبي هُريرة عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه قال : ﴿ أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّي رسُول الله لا يلقى اللهَ بِهِما عَبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهِما إلا أدخَلهُ اللهُ الجنة ﴾ وفي حديثِ أبي هريرة الآخر في صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّي رسولُ الله لا يلقى الله بِهِما عبدٌ مُستيقِنٌ بِها قلبهُ إلا دخَل الجنة ﴾ أو كما قال عليهِ الصلاة والسلام فّذكر اليقين ، فلابُدّ في لا إله إلا الله مِن اليقين أن يكون قولُ العبدِ لها عن يقين لا عن شك أو ريب أو تردُّد ولِهذا قال العُلماء : اليقينُ هو تمام العِلم وكمالِه ، بِمعنى أنْ ينتفي مِن القلب الشك والريب والتردّد ويكونُ في القلب الجزم والثِقة والطُمأنينة وارتِفاع الشك ، فهذا شرط مِن شروط قبولِ هذهِ الكلمة العظيمة .

- الشرط الثالث : الإخلاص المُنافي للشرك والرّياء ، فلا إله إلا الله لا تكونُ مقبولةً مِن قائِلِها إلا إذا قالها عن إخلاص ، والإخلاص هو الصفاء والنقاء والخالِصُ هو الصافي النقي قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي : الصافي النقي ، وفي الحديث : ﴿ مَن قالَ لا إلهَ إلا الله خالِصاً مِن قلبِه دخلَ الجنة ﴾ فالإخلاص شرطٌ مِن شروط قَبولِ هذه الكلمة بِأن يقولها مُخلِصاً لله في

دينه وعِبادتِه وتقربه إلى الله سبحانه وتعالى بعيداً عن الشرك والرياء والصمعة وإرادة الدنيا بالعمل فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يقبل مِن العمل إلا ما كانَ خالِصاً لِوجهِه وابتِغاء مرضاتِه ولِهذا قال عزّ وجلّ في الحديث القدسي : ﴿ أنا أغنى الشُركاءِ عنِ الشِرك ، مَن عَمِلَ عمَلا أشرَكَ مَعيَ فيهِ غيري تَركتُهُ وشِركه ﴾

■ الشرط الرابع : الصِدق المُنافي للكذِب ، فلا إله إلا الله لا تكونُ مَقبولةً مِن قائِلها إلا إذا قالها صادِقاً مِن قلبه لا أن يقولها بِلسانِه ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن المُنافقين : ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي : كاذِبونَ في أنَّ ما قالوهُ بألسنتهم ليسَ مُواطِئً لِما قامَ في قلوبِهم فالقلب فيهِ الكُفر والخراب واللسان فيه مجرّد التلفّظ بهذه الكلمة ، فإذن مُجرّد التلفّظ بهذِه الكلمة لا يُقبل إلا إذا كانَ عن صِدق ، ولِهذا أيضاً ثبتَ في الصحيح عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ اشتِراطُ الصدق لِقبول لا إله إلا الله : ﴿ مَن قالَ لا إله إلا الله صادِقاً مِن قلبِهِ دَخَلَ الجنة ﴾ فاشتَرط عليه الصلاة والسلام الصِدق ، والصِدق هو مُواطَئة القلب اللسان أي أنّ ما يقولهُ العبدُ بلسانِه موجوداً وقائِماً في قلبه .

■ الشرط الخامِس مِن شروط هذه الكلمة العظيمة : المحبة المُنافية للبغضِ والكُره ، ولِهذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ﴾ الذين آمنوا أشَدُّ حبّ لله مِن حُبِّ المُشركين لله لأنّ المُشركين يُحبُّون الله لكنهم يَجعلون لهُ نِدّاً في المحبّة ــ شريكاً ــ فمحبَّتهُم لهُ ليست صافية بل جعلوا معَ الله فيها الشُركاء ولِهذا قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ﴾ لأنّ حُب المؤمنين لله خالِص و حُبُّ المُشركين لله فيهِ شَركة جعلوا مع الله تبارك وتعالى فيهِ شُركاء ، ولِهذا لا يقبلُ الله مِنهُم حُبَّهُم له لأنهُ ليسَ حُباً خالِصاً بل هو حُبٌّ مَخلوطٌ

ومَشوبٌ بالشِرك واتِّخاذ الأنداد والشُركاء مع الله سبحانه وتعالى ، ولهذا لا تُقبل لا إله إلا الله مِن قائِلها إلا إذا قام في قلبِه حبُّ الله جلّ وعلا وأن يَميلَ القلب بِكُلِّيَتِهِ إلى الله عزّ وجلّ حُباً وتعظيماً وتذلُّلا وانقِياداً ثم تحقيقاً لِما يترتَّب على هذا الحُب مِن الذلّ والطاعة ومحبة ما يُحبُّهُ الله وبُغضُ ما يُبغِضهُ الله وفي والحديث يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ أوثَقُ عُرى الإيمان الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله ﴾ وفي الحديث الآخر قال : ﴿ مَن أحَبَّ لله وأبغَض لله وأعطى لله ومنعَ لله فقد استَكمَل الإيمان ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجَدَ بِهِنَّ حلاوَة الإيمان ، أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما وأنْ يُحبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا لله وأن يَكرَهَ أنْ يعودَ في الكُفرِ بعدَ أن أنقذهُ الله مِنه كما يَكرهُ أن يُقذفَ في النار ﴾

- الشرط السادس مِن شروطِ هذه الكلمة العظيمة : الانقياد المُنافي للترك ، ومعنى الانقِياد أن يُسلِمَ قائِلُ هذه الكلمة وَجهَهُ لله مُطيعاً له مُتذلِّلا خاضِعاً عابِداً مُطيعاً ، قال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي : بلا إله إلا الله ، فاشتَرط في الاستِمساك بالعُروة الوُثقى أنْ يُسلِم وجههُ لله أي أنْ ينقاد ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ فلا إله إلا الله لابُدَّ فيها مِن الانقِياد والاستِسلام لله تبارك وتعالى وأن يعلَم قائِل هذه الكلمة أنه عبد لله تبارك وتعالى يقومُ بِطاعتِه ويُحقّقُ عِبادته كما أمَر ويَنقادُ له جلّ وعلا

- الشرط السابع والأخير مِن شروط هذه الكلمة : القَبول المُنافي للرد ، أنْ يتلقَّى هذه الكلمة بالقَبول و الرضى والتَسليم فيقولُها بلسانه نُطقاً ويقولها بِقلبه اعتِقاداً كما أمرهُ الله بقولِه سبحانه وتعالى : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ ﴾ وكما أمرهُ عليه الصلاة والسلام بقولِه : ﴿

قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ فيتلقى هذه الكلمة بالقبول ، قبولا في القلب باعتِقادِ هذه الكلمة وما دَلَّت عليه وقُبولا لها باللسان ، بالنُطق بها والتلفّظِ بها وألا يستَكبِر لا يتلقَّاها بالاستِكبار والتعالي والإباء والامتِناع ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن المشركين : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ وتأمّل هذا الجواب القبيح ، قال لهُم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا ﴾ فكان ردُّهُم وجوابُهُم هو هذا القول ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ وتنبّه هُنا إلى فائِدة عظيمة يَنفعُك الله بها أنّ هؤلاء المُستكبرين المُمتنِعين عن قولِ لا إله إلا الله كانوا يعرِفون معناها و يعرِفون ما تَدُلُّ عليه ولِهذا لمّا قال : ﴿ قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا ﴾ قالوا : ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ إذن هُم أدركوا وعلِموا وفهِموا أنّ لا إله إلا الله تعني ترك الآلِهة والبراءة مِنها كانَ يفهمونَ ذلِك جيداً ولِهذا امتنعوا مِن قولها ومن قولها ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ ، ولّما قال هود لِقومِه قولوا : لا إله إلا الله ماذا قالوا ؟ قالوا : أتأمرنا أن نعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، يفهمون معناها ، يفهَمون أنّ لا إله إلا الله تعني التخلّي عن عبادة الآلهة وإخلاص الدّين لله تبارك وتعالى ولِهذا امتنعوا مِن قولها ، ولّما قال نبينا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لعمِّهِ أبي طالب عِندما حضرتهُ الوفاة : ﴿ يا عم قُل لا إله إلا الله كلِمة أحاجُّ لك بِها عِندَ الله ﴾ قال أبوا جَهل ومن معه وكانوا عِند رأسه قالوا : بل على مِلّة عبد المُطّلب ، وهذا يُفيدُنا أنهم كانوا يفهمون أنّ لا إله إلا الله تعني التخلِّي عن عِبادة غير الله وإخلاص الدّين لله تبارك وتعالى وترك الأنداد والوُسطاء والشُركاء والتَخلِّي عن ذلِك كلّه والبراءة مِنه والإقبالِ على الله سبحانه وتعالى ، وكانوا يَعُدُّون هذا الأمرَ عجيباً لأنّ مِلّة عبد المُطلِّب هِي مِلّة الشِرك والتنديد الذي نشئوا عليه فيَعُدُّون التخلّي عن هذا الأمر عجيباً لأنّ لهذه الآلهة مقاماً عِندهم وشأناً وهيَ بزعمِهِم هي التي تُقرِّبهم إلى الله ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى

﴿ ولِهذا عَدُّوا طلبَ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مِنهم قول لا إله إلا الله أمراً في غايةَ العَجب لأنه يقتضي التخلّي عن الآلهة والبراءةِ مِنها ولِهذا قالوا كما جاء في القرآن : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ يعني أمر في غاية العَجب ، بل إنهم تواصّوا فيما بينهُم على الصَبر على الآلهة وعدَم التخلّي عنها ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ وكان بعضهُم يُهنّئ بعضاً على هذا الصبر ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ يعني : لولا أنّنا تحلّينا بالصبر وإلا لأضلّنا عن ألِهتنا بِما يدعون إليه مِن قول لا إله إلا الله ، كُلُّ هذا يُفيدنا أنّ القوم كانوا يعرفون لا إله إلا الله وأنها تعني الإخلاص لله تبارك وتعالى والبراءةِ من الشرك ولِهذا استَكبروا وتلقَّوها بالاستِكبار ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ .

وعلى كُلٍّ فهذه شُروطٌ سبعة أخذها العُلماء بالنظر والتتبُّع لكتاب الله وسنة نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ العِلم واليقين والإخلاص والصِدق والمحبة والانقياد والقبول ، وليس المطلوب في هذه الشروط السبعة عَدُّها أو مُجرّد عَدِّها وإنّما المطلوب في هذه الأمور السبعة تحقيقُها أن يُحقّقها العبد ، ولِهذا قال بعض أهل العِلم : كم مِن عامّي مُتحقِّقة فيه هذه الشروط ولو قُلتَ لهُ عُدّ لنا شُروط لا إله إلا الله ما يُحسِن أن يُعدّها ولكنّه يعرِف أنّها تعني التوحيد والإخلاص وعِنده يقين في قلبه وصادِق ليس مُنافِقاً ويقولُها بإخلاص وبنيّة صافية ومُحب لله ولدين الله ولشرع الله ولأوامر الله وأيضاً مُنقاد ومُستسلم ومُطيع وليس مُتلقِياً لها بالاستِكبار ، مُتحقّقة فيه فالعِبرة بتحقُّقها ليس العِبرة بِمُجرّد عدّها ، قد يَعُدّها الإنسان ويجري فيها مثل السهم ولكنه قد يَخرِمها ـــ والعياذ بالله ـــ فالعِبرة بأن يكون العبد مُحقِّقاً لها وليس شرطاً هنا أن يضبطَ العدد ويقول الشُروط سبعة . . واحد اثنين ثلاثة أربع خمسة . . ليس هذا شرط وليس بلازِم ، المُهم أن تتحقّق فيه هذهِ الشروط

وأن تجتَمِع وأن يُتمِّمها وأن يبذل وسعه في حياتهِ في تحقيقها إلى أن يلقى الله سبحانه وتعالى وهو راضٍ عنه .

ونسال الله جلّ وعلا أن يجعلنا أجمعين مِن أهل لا إله إلا الله حقاً وصِدقاً وأن يُحيِيَنا عليها وأن يميتنا عليها وأن يُحيِيَنا مُسلمين وأن يتوفَّانا مؤمنين وأن يُصلح لنا ديننا الذي هو عِصمة أمرِنا وأن يُصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا وأن يُصلح لنا آخرتنا التي فيها معادُنا وأن يجعل الحياةَ زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا مِن كل شر إنه تبارك وتعالى سميع قريبٌ مُجيب .

قـــــــام بتفريغـــــــها

حيـــــدر